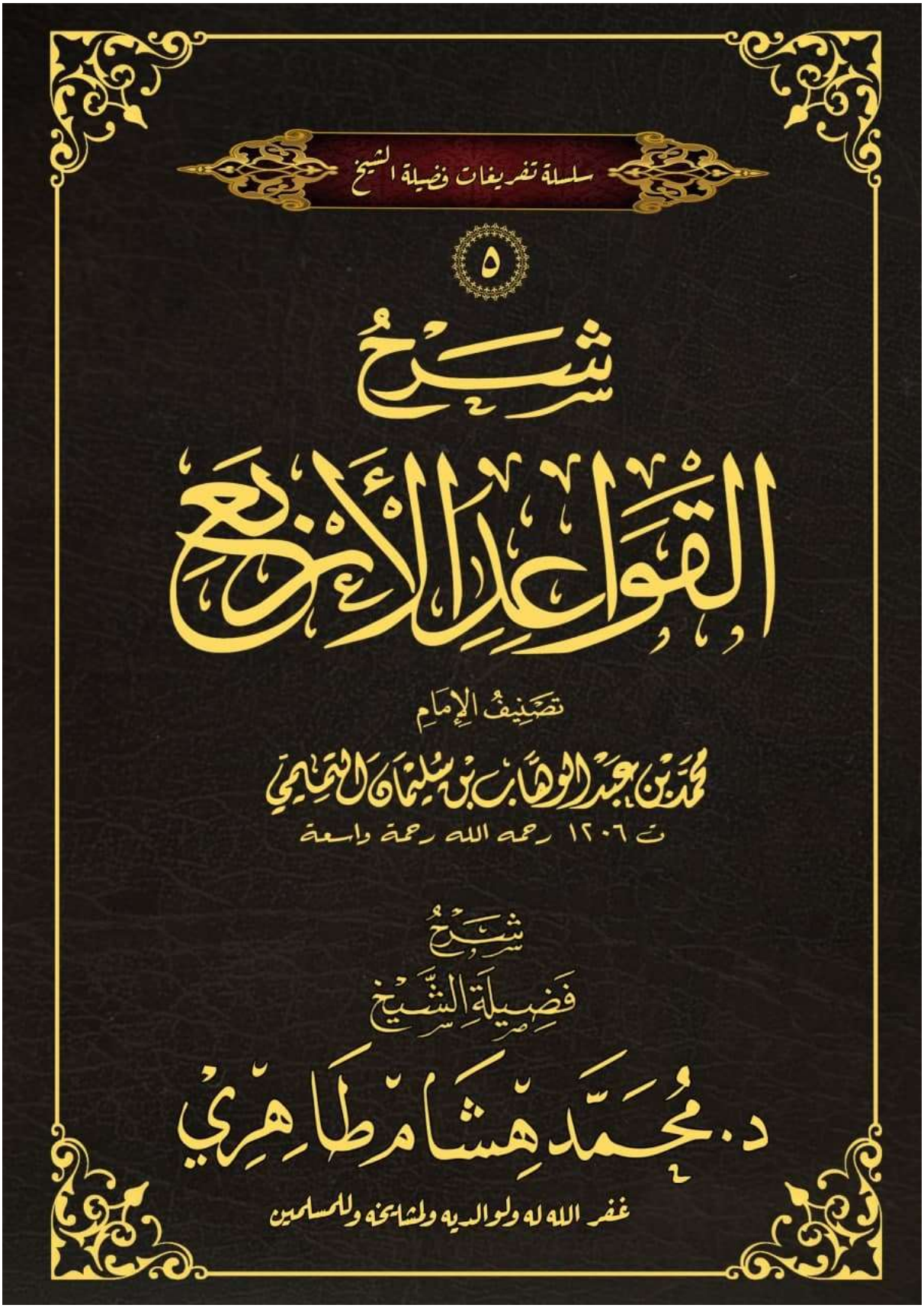
سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ
٥
شرح
القواعد الأربع
تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة
شرح
فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا هو المجلس الرابع من مجالس القراءة والتعليق في هذه الدورة التأصيلية الأولى في دورتها الرابعة، وهذا هو المجلس الأول فيما يتعلق برسالة القواعد الأربعة للإمام المُجدد/ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته-.

الفرق أولًا بين القواعد الأربعة والأصول الستة من وجهين:

الوجه الأول: أن الأصول الستة لبيان منهج التعامل، وأما القواعد الأربعة فهي لبيان كيفية الرد على شبهات أهل الشرك وأهل القبور.

الفرق الثاني: أن الأصول الستة إنما هي لبيان منهج معتقد أهل السنة والجماعة من حيث العموم، والقواعد الأربعة لبيان منهج معتقد أهل السنة والجماعة في العبادة.

وأما الفرق بين القواعد الأربعة والأصول الثلاثة فأيضًا من وجهين:

الوجه الأول: أن هذه القواعد في بيان رد شبهات المشركين، والأصول الثلاثة لتأصيل العبادة، تأصيل مباني الإسلام.

الوجه الثاني: أن هذه القواعد الأربعة هي لتأصيل توحيد العبادة، والأصول الثلاثة ليس مقصورًا على ذكر توحيد العبادة.

فبان بهذا الفرق بين رسالة الأصول الثلاثة والأصول الستة، وقد سبق أن علقنا عليهما، والآن نبدأ بـ**[القواعد الأربعة]**،

وهي رسالة لطيفة للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المتن:

قال المصنف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في القواعد الأربع:

الْقَاعِدَةُ الأُولَى

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ -تَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:٣١].

الشرح:

هذه القاعدة هي القاعدة الأولى في القواعد الأربعة، المقصود منها: أهمية النظر إلى الفرق بين المُسلم وبين الكافر، وهل يمكن الإنسان أن يفرق بين المشركين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وبين المسلمين ما لم يكن مطلعًا على أحوال المشركين؟! لا بد أن تعرف ما هي أحوال المشركين في زمن بعثة سيد المرسلين ﷺ؛ لكي تعرف أن هناك من يشبههم في هذا الزمان.

فهل النبي ﷺ جاء إلى أُناس لا يعرفون الله؟ الجواب: لا، هل النبي ﷺ جاء إلى أُناس ويقولون كلهم: لا يوجد قيامة؟ الجواب: لا، كثير منهم يقر بالقيامة، هل جاء إلى أُناس وهم يقولون: لا يوجد أنبياء ولا كتب؟ الجواب: لا، كلهم أو جلهم يُقرون بأن دين إبراهيم هو الدين الحق.

هل جاء إلى أُناس ويقولون: إن الله ﷻ ليس خالقًا ولا رازقًا؟ الجواب: لا، كلهم مقرون بأن الله هو الخالق، وأن معبوداتهم وأوثانهم وشركائهم وشفعائهم ليس لها من أفعال الربوبية شيء.

إذًا لماذا كانوا كفار؟ -سؤال- يظن بعض من لا علم عنده ممن لبس لباس العلم وليس بعالِم، ولبس لباس العلم وهو على ضلال، يظن أن سبب كفرهم عدم إيمانهم بنبوة محمد ﷺ.

لو كان الأمر كذلك لكان يحق لأحدٍ أن يقول: إذًا لماذا الله بعث لهم المرسلين؟ كان تركهم على ما هم عليه حتى لا يكفروا، كان أحسن، فبناءً على قولهم هذا صارت البعثة نقمة عليهم، والحال أن البعثة رحمة عليهم، شفقة عليهم، شفقةً بهم، رحمةً بحالهم، أرسل الله محمدًا ﷺ.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠٧]؛ هم كانوا كفارًا فأرسل الله تعالى إليهم النبي ﷺ ليهديهم من الكفر، إذًا الكفر والشرك موجود، ما كفرهم؟ ما شركهم؟

ليس كفرهم وشركهم متعلق بالربوبية، كانوا يقولون: الله الخالق، الله الرازق، بل يقولون: الله على العرش، بل يقولون: الأمور مقدرة، بل يقولون: الله العزيز الحكيم، شوفوا كيف!؟ بل يقولون: الله له حق العبادة، ولكن يقولون: لا يمكن الوصول إليه إلا بالوسائط الشفعاء، انتبه لهذه المسألة!

لماذا نُقرر هذه القاعدة: أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله مُقرون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر؟ واليهود والنصارى كلهم مقرون، بل وإلى اليوم كثيرٌ من المشركين، وجُل وكل اليهود والنصارى يقولون: أن الله هو الخالق الرازق.

إذًا لماذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام؟ لأن الإسلام لا يعني أن نُقر بخصائص الربوبية فقط، لا يعني أن نقر بأفعال الربوبية فقط، فإن هذا أمرٌ لا مفر منه، أمر اضطراري، يُدرك الإنسان مهما كابر أن البشري لا يستطيع أن يرد الشمس؛ لأن الإنسان مهما كان وليًّا يُدرك بعقله لو تأمل قليلًا أنه لا أحد أن يستطيع أن يسير الليل والنهار إلا الله.

إذًا ما هو الإسلام؟ الإسلام إفراد الله بالعبادة، ليس الإسلام أن تُقر أن الله هو المعبود، لا، هذا يقر به المشرك واليهودي والنصراني، الإسلام أن تقر أن الله هو المعبود بحقٍّ وأن عبادة غيره شركٌ.

إذًا المشركون كانوا يقرون بأن الله هو الخالق! نعم، والرازق! نعم، والمدبر! نعم، أربعة أفعال للربوبية إليها مرجع الأفعال.

الأول: الخلق.

الثاني: الرَّزق.

الثالث: الملك.

الرابع: التدبير.

والخلق ومنه الإيجاد والبري، والرزق ومنه العافية والمرض والصحة... إلى آخره، والملك ملك الناس، مالك يوم الدين، له الملك، مالك الملك، تدبير، أربعة أفعال للربوبية، كلها المشركون

مقرون أنها لله، إلى اليوم النصارى وإن كانوا يستغيثون بعيسى ويقولون: جزو اسم عيسى، لكنهم عند المصائب يقولون: (my God)؛ ينادون الله عند المصائب، وينسون عيسى، هذا موجود، ما الدليل على أن هؤلاء الأقوام يقرون بخلق الله، ورزق الله وحده، وملك الله وحده، وتدبير الله وحده؟ الدليل إذا كان مع المسلم فهو سيغتني بالقرآن، عندنا القرآن، يقول الله ﷻ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة يونس، من الآية: ٣١].

﴿مَن يَرۡزُقُكُم﴾؛ هذا حط عليه رقم (٢) اللي هو الرزق، نحن ذكرنا أربعة أشياء.

﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ اكتب: الملك (٣)، هذا ترتيبنا نحن.

﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾؛ اكتب عليه رقم (١): الخلق.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾؛ رقم (٤)، أربعة أشياء من أفعال الربوبية إليها مرجع الأفعال كلها مذكورة في آية واحدة، الله يُخاطب بها الكفار خطاب مستفهمٍ استفهام تقرير، ﴿قُلۡ مَن﴾؛ هل هو يسأل لأنه لا يعلم؟ حاشا، لماذا يسأل؟ ليقررهم، ولو كانوا غير مقرين ما في فائدة من هذا السؤال، صح ولا لا؟

إذًا هم مقرون بهذا السؤال، فلذلك استدل عليهم بما هم مقرون به ليُلزمهم ويُلجمهم ويجرهم إلى ما ينكرون.

﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ وتأمل كلمة السين: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾؛ ما قال: فيقولون، قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ دل على أن هذا الأمر سيتجدد مع المشركين، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: الله الرازق، الله المالك، الله الخالق، الله المدبر، وإنما حذف الخبر؛ لأنه موجودٌ في الاستفهام، فما في داعي للتكرار.

فجاء الجواب: ما دمتم تقرون بأني الخالق المالك الرازق المدبر. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أفلا تخافون فتعبدون معه آلهةً أخرى؟ فتتقربون إلى غيره! هذه مسألة عظيمة ايها الاخوة والله أمر عجب!

تعرفون لماذا كثير الناس اليوم لا يعرفون الشرك؛ لأنهم لا يعرفون ما كان عليه مشرك في ذاك الزمان، لا يعرفون.

طيب.. إن كان الرجل غير مسلم لا يقر بالقرآن، فكيف تُثبت له أن المشركين كانوا مقرين بهذه الأمور؟ نقول له: روح اقرأ المعلقات السبعة، المعلقات السبعة قبل الإسلام ولا بعد الإسلام؟ قبل الإسلام، كلها فيها أيش؟ فيها أن الخالق الله، أن الرازق الله، أن المالك الله، أن المدبر هو الله، بل وفيها أن الله فوق العرش، بل وفيها أن الله هو المقدِّر، اقرأ كتاب [**الأصنام**]، كتاب الأصنام من الكتب المؤلفة التي فيها حياة المشركين قبل الإسلام، حقيقة هذا الكتاب أنا لما قرأته عرفت وتجلى عندي البون الشاسع بين المسلمين وبين المشركين؛ لأن الشيء بضده يتبين.

اقرأ كتاب [**الأصنام**] لابن الكلبي، كتاب عجيب، يذكر ماذا كانوا يفعلون مع معبوداتهم، ما أحد من المشركين؛ لأن عقولهم أيش؟ على الفطرة، ما تدلست بالفلسفة وكذا، فهم ليس عنده من الشرك إلا اتخاذ الشفعاء، ما عندهم شيء آخر.

نادر ما تجد عربي ملحد، أندر من النادر، ليش؟ لأنه عايش في الفطرة، عايش في البيئة ما تلوثت أدمغتهم لا بفلسفة الهندوس، ولا بفلسفة اليونان، ولا بفلسفة الرومان، ولا بفلسفة المجوس.

لذلك نقول: الذي يقول لنا: كيف علمتم أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية نقول: اقرأ القرآن، اقرأ السنة، إن كنت لا تقتنع فاقرأ كتاب [**الأصنام**] واقرأ معلقات وخُطباء وكلام العرب قبل الإسلام.

من عجائب ما قرأت، والعجائب جمة! أن أحد الكتاب من النصارى كاتب: أنه ما في فرق بين الإسلام وبين المشرك، المسلم يقر بأن الله الخالق الرازق المالك المدبر، والمشرك يقر بأن الله الخالق الرازق المالك المدبر، المشرك يذهب إلى الصنم، والمسلم يذهب إلى الكعبة. شوف التلبيس! لماذا قال هذا الكلام؟

أولًا: لأنه ما عرف الإسلام، ظن الإسلام إقرار بالربوبية، صح ولا لا؟ لا، ليس هذا الإسلام، الإسلام أيها المسلمون الإقرار بتوحيد الألوهية: لا إله إلا الله، هذا هو الإسلام، وليس معنى لا إله

إلا الله لا خالق لا مالك لا رازق، لا، هذا من لوازم لا إله إلا الله، لماذا لا إله إلا الله؟ لأنه لا خالق إلا الله؛ لأنه لا رازق إلا الله، لأنه لا مالك إلا الله، لأنه لا مدبر إلا الله، فلا معبود حقٌّ إلا هو. هذه مسائل مهمة.

ثانيًا: من الذي قال لك: إن المسلم ما ننظر إلا آحاد الصور الواقعة عند الكعبة، من الذي قال لك إن المسلم إذا ذهب عند الكعبة يظن أن في الحجر بركةً، مَن؟ هل هكذا ظن المسلمون؟ يقول عمر: "والله إني لأعلم أنك حجر، لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك..." أيش؟ فنحن نفعل هذه العبادات امتثالًا لأمر الله، وليس نتقرب إلى الله بالحجر، لا، تقرب إلى الله بامتثال الأمر، لو أمرنا أن نطوف حول جبلٍ لطفنا، فالطواف لله، لكن المكان من الذي يُحدده؟ الله، الله الذي يحدد المكان مو إحنا نحدد المكان.

نقبل حجرًا، نرمي حجرًا، صح ولا لا؟ قربان إلى الله ﷻ، بامتثال الأمر، لكن لا يفهمه طيب إذا تقرر هذه القاعدة نفهم بعد ذلك لماذا نقول عن اليهود والنصارى والمشركين أنهم ليسوا مسلمين، وأنهم ليسوا على دين إبراهيم؟ لأن دين إبراهيم الحنيف هو الإسلام، هو التوحيد، هو إفراد الله بالعبادة، فزعم المشركون في زمن النبي ﷺ وزعم اليهود وزعم النصارى أنهم من أتباع إبراهيم، هذا كالجمع بين النقيضين، هل يمكن الجمع بين النقيضين؟ هذا كمن رام الجمع بين المشرق والمغرب، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٦٧]؛ كان اليهود يعبدون عزير، يعبدون أولياء، يعبدون قبور، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٦٧]؛ النصارى يتقربون إلى الابن، أو إلى روح القدس، أو إلى كذا ثم إلى الله.

ولا يعني هذا أنه ليس عند اليهود والنصارى شرك إلا في الألوهية، لا، عندهم أنواعٌ من الشرك هذا شيء آخر، كما أن المشركين عندهم أنواعٌ من الشرك، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٦٧].

هذه القاعدة لا بد أن تتقرر في الأذهان، أن إقرار الناس بالربوبية لا يعني الإسلام.

أنا بسألكم سؤال: خلونا من المشركين في زمن النبي ﷺ، من أهو أطغى الطغاة من الإنس؟ فرعون، صح ولا لا؟

طيب.. تأملوا معي! ماذا يقول فرعون؟ فرعون يقول بلسانه: (أنا ربكم الأعلى)، صح؟ قال بعض المفسرين: ربكم الأعلى يعني في مصر؛ لأن له معبودات سماوية، قال: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٢٧]؛ أي وعبادتك، يعني هو يعبد، على هذه القراءة.

والقراءة الأخرى: (ويذرك وإلاهتك)، إذًا ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾؛ أي: ومعبوداتك عنده معبودات هو يعبد، (ويذرك وإلاهتك) أي وعبادتك، أي لا يجعلونك واسطة.

أو على رأي من يقول: أنه بلسانه أنكر الله، قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [سورة غافر، من الآية:٣٧]؛ ماذا قال موسى عليه السلام؟ قال: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:١٠٢]؛ نحن نصدق موسى ولا ما نصدقه ﷺ؟! ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [سورة الإسراء، من الآية:١٠٢]؛ علم الخبيث ولا ما علم في قرارة نفسه؟، ويؤكد هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ [سورة النمل، من الآية:١٤]؛ أي: برسالة موسى عليه السلام: الإفراد والتوحيد. ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل، من الآية:١٤].

من هو أطغى الطغاة من الجن؟ إبليس، ماذا يقول إبليس؟ ربي ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٤]؛ يقول: ربي ولا لا؟ مقر أن الله ربه ولا لا؟ ليش كافر؟ قال: لأنه أبى امتثال الأمر، اللي أبى امتثال الأمر كفر، طيب.. والله يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٩]؛ هذا أوضح من: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [سورة ص، من الآية:٧٥]؛ وهذا أكثر، الأمر إلى إبليس توجه مرةً واحدة، وكم أمر للإنس والجن أن يعبدوا الله وحده لا شريك له؟ مئات الأوامر، لو جمعنا الأوامر التي تأمر بعبادة الله وحده لا شريك له في القرآن، وجمعنا أعظم ركن في الإسلام الصلاة؛ لوجدنا أن ما في مقارنة.

الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك في القرآن مليء، ما من سورة إلا وفيها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك إما صريحًا، وإما لزومًا، وإما تضمنًا، وإما مخالفةً، موجود.

الصلاة الأمر بها جاء في ثمانين موضع فقط.

القاعدة الثانية: أن نسأل أنفسنا: إذا كان هؤلاء يقرون أن الله الخالق الرازق المالك المدبر، فلماذا إذًا ليسوا مسلمين؟ اسمع للقاعدة الثانية.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣]. وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥].

الشرح:

هذه القاعدة عظيمة أن نُدرك أن المشركين كانوا حينما يعبدون الأصنام والأوثان سواءً الأرضية أو الفلكية، الأولياء والصالحين، طبعًا لا بد أن نُدرك أن المشرك حينما يعبد صنمًا أو حجرًا هو لا يعبده لذات الصنم، انتبه لهذه المسألة!

طيب.. لماذا يعبد الصنم؟ لأنه يعتقد أن الصنم رمزٌ عن ذاك الولي، رمزٌ عن ذاك الصالح، رمزٌ عن ذاك المتصرف، رمزٌ عن ذاك الذي يرى أنه يُقربه إلى الله.

مثلًا الآن الذي يعبدون بوذا لا يعتقدون أن هذا الصنم هو بوذا، وإنما يقول: هذا صنمٌ يرمز إلى بوذا، من بوذا؟ اختلاف بينهم، منهم من يعتقد أن بوذا عبدٌ حَل فيه الروح الإلهية، يعني قول الاتحاد والحلول.

أو منهم من يقول: إن بوذا وليٌّ نتقرب إليه هو يوصلنا إلى الله.

ومنهم من يقول: بوذا كان نبيًا ونحن نتقرب إليه وهو يقربنا إلى الله.

لاحظ الآن! أنه ما يقصد الصنم لذات الصنم، هذه مسائل مهمة ترى! إنما يقولون: هذه أصنام وأوثان نحن نتقرب إليها وهي تُقربنا إلى الله، لرموز الصالحين، لرموز الأنبياء، لرموز المتصرفين الذين يزعمون أن الله حل فيهم -عياذًا بالله-.

وهذه مسألة مهمة! أنهم يقولون: ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم لذواتها، ما دعوناهم، وتوجهنا إليهم لأنها تخلق، أو لأنها ترزق، أو لأنها تملك، أو لأنها تدبر، إذًا لماذا توجهتم إليها؟ قالوا: إلا لطلب القربة والشفاعة، إذًا عندهم شبهتان:

الشبهة الأولى: القربى.

الشبهة الثانية: الشفاعة.

ما هي طلب القربى؟ يقولون: نحن -هكذا يمثلون لأنفسهم- وهذا صريح عند النصارى، النصارى اليوم أحدهم إذا أراد أن يتوب لا يقول: يا رب اغفر لي، ليش؟ لأنهم لبَّسوا عليه أنك أنت نجس، أنت قذر، أنت وسخ، إذا تبي تنظف ما تقدر تنظف نفسك، لازم تروح عند غسَّال

يغسلك، تروح الحمام يجيبون لك يفركونك ينظفونك، وأيضا يلبسون عليه ويقولون: أنت إذا كنت وسخ قذر، كيف تقول: يا رب، لا، لازم تروح عند إنسان عنده المقدرة على غسلك وهو قريبٌ من الله نظيفٌ فيقول: يا رب اغفر لفلان.

انتبهتم للشبهة الأيش؟ القربى.

يقولون: ما نعبدهم لذواتهم، ليش تعبدونهم؟ ليش تطوفون حول قبره؟ قال: هو يقربنا إلى الله، ليش تسجد عند قبره؟ قال: هو يأخذ بأيدنا يوصلنا إلى الله، هذه هي الشبهة الشركية القديمة من زمن نوح عليه السلام يوم أن طرأ الشرك، وهي باقية إلى قيام الساعة، طلب القربى.

ولذلك رأيت بهائيًا -طبعًا البهائيين يعتقدون أن الله حَلَّ في البهاء -عياذًا بالله، يعتقدون هذا اعتقادًا-، فقلت له: قبل أن يوجد البهاء من الذي خلق السماء؟ قال: الله، قلت: إذًا اعبد الذي هو موجود قبل البهاء ودع البهاء، قال: لا، البهاء يقربني إلى الله زلفى.

يقول: البهائي يوصلني إلى الله، قلت له: طيب.. قبل أن يوجد البهاء من كان يوصل الناس إلى الله؟ فبُهت، ما عرف كيف يتكلم، هذا عجب من الناس، نفس الكلام تقوله النصراني، يقول: أنا أتقرب إلى عيسى وعيسى يقربني إلى الله، قل له: طيب.. قبل وجود عيسى الناس كانوا يتقربون إلى الله كيف؟ إما أن يقولوا مباشرة، وإما أن يقولوا بفلان، فنقول: إذًا خليك على فلان على الأقل، ليش تجيب جديد؟

فليس للمشرك قاعدةٌ يستدل بها على شركه البتة، ولذلك أيها الإخوة الشرك أسفه السفه، لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يكون عليه -مو دليل- أمارة دليل لا يمكن، إنما هي شبهات إبليسية، ما الدليل على أن المشركين كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة؛ لأنها تقربهم، ما الدليل؟

قال الله في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣]؛ وهذا من فقه الإمام، لماذا اختار هذه الآية؟ لأن فيها اسم العموم، دل على أن كل مشركٍ يعبد ما يعبد لاعتقاده أنها تقرِّب، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣]؛ يعبدون وليًّا، يعبدون صنمًا، يعبدون حجرًا، يعبدون شمسًا، يعبدون قمرًا، يعبدون، يعبدون، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣]؛

عموم شمل أي معبود ملَكًا ملِكًا، صالحًا طالحًا، إذًا ﴿وَٱلَّذِينَ﴾؛ عموم. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾؛ عموم، ﴿أَوْلِيَآءَ﴾؛ ليش ما قال معبودات؟ قال: أولياء على وجه الخاص، شوفوا بلاغة القرآن؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يعبد أحدًا مع الله إلا إذا أحبه حبًّا شديدًا، فهو يحبه لمحبةٍ نفسية موجودة فيه فصار يتقرب إليه، يحب الشيخ عبد القادر الجيلاني، يحب الحسين، يحب البدوي، حبه جعله يصم ويعمى عن الحق، فيعطي حق الله له.

أولياء جمع: ولي، والوَلي بفتح الواو: الحبيب الذي يتولى أمرك.

أيش يقولون؟ ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ ماذا يقولون؟ ما شبهتهم؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ هذا يسمى: أسلوب الحصر، أسلوب أيش؟ الحصر؛ أي: لا يتوجهون إلى هؤلاء المحبوبات إلا لهذا المقصد، مقصدهم زين، يريدون التقرب إلى الله، شنو المشكلة؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا﴾؛ شوفوا كيف الحصر؟ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ زلفى يعني: قربى، ومنه مزدلفة، لماذا سُميت مزدلفة مزدلفة؟ لأنك قربت بعدما خرجت من الحرم قربت إلى الحرم، فإن مزدلفة أول الحرم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: قربى.

ماذا قال الله؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾؛ يأتون بالشبهة هذه. ﴿ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ كيف.. ما الذي اختلفوا فيه؟ لأن كل واحد عنده ولي محبوب يزعم أنه يقربه إلى الله ولا لا؟

النصارى عنده ولي، واليهود عنده ولي، والمشرك عنده ولي، والبوذي عنده ولي، كل واحد عنده أولياء، كل واحد يكفِّر الثاني، كل واحد يقول: أنا على الحق، الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

ثم حكم على من زعم أنه يتقرب إلى الله بهذه الطريقة قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾؛ فجمع بين وصفين:

- كاذب في زعمه أن هؤلاء معبودات تقرب إلى الله.

- وكفَّار شديد الكفر في تلبيسه الكفر بلباس التوحيد.

يقول: أنا أريد.. أن أقول: الله الخالق، الله الرازق لكن هذا واسطة، هذا توجه، هذا ولي، وليس هذا شرك. هذا عظيم الكفر أيها الإخوة، فجمع بين الوصفين عظيم الكذب على الله وعلى دين الله، وعظيم الكفر؛ لأن من صرف العبادة لغير الله وقع في الكفَّار فعله فعل الكَفَّار؛ لأنه كفر أكبر مخرج من الإسلام.

وكفَّار صيغة فعَّال، كاذبٌ في قلبه كَفَّارٌ في فعله كما قال بعض المفسرين. هذه الشبهة الأولى عندهم.

الشبهة الثانية: ماذا يقولون؟ يقول: لا، نحن ما عبدناهم ما أنتم ما عبدتوهم، لا، إذا ليش تروحون عند قبرهم؟ ليش تروحون عند الصنم؟ ليش تروحون عند الوثن؟ أيش يقولون؟ نحن نطلب منهم الشفاعة، نقول له: يا أيها الولي اطلب من العلي، يقولون: نحن نقول: يا أيها الرجل الصالح اشفع لنا عند ربنا ليغفر هذا الطالح، هذه هي مقولاتهم الشركية الملبوسة بلباس الإسلام بزعمهم. يقولون: نحن نطلب الشفاعة من هؤلاء.

طيب.. قبل ما نتكلم عن الشفاعة نسيت أن أذكر شيء مهم، دليل القربى، سؤال: هل في الإسلام باباوية؟ أنه ما يمكن أن يغفر الله لك إلا من جهة فلان، أبطله الله بقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٨٦]؛ ليش ما قال: فقل؟ أسقط الواسطة؛ لأن المقام مقام توحيد ما في واسطة، تطلب من الله.

لكن لو كان المقام مقام تعليم فقل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٢٢]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٨٩]، إلا في التوحيد أُسقطت كلمة: (قل) من الله، ترك الله كلمة: (قل) ليكون التوحيد موصولًا إليه -جل في علاه-. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾؛ إذًا ما في واسطة.

طيب.. بقيت شبهة ثانية: إنه أنا متسخ وأنا كذا وأنا كذا، لا بد أن الله يردني يمكن، قال الله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٥٣]؛ وهنا جاء بكلمة:

(قل)؛ لأن هذا لا يمكن العلم به إلا بالوحي، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ لو كنت مشرك الله يغفر لك، مهما كان ذنبك فالله لا يتعاظمه شيء-سبحانه وتعالى-

أما الدليل أن هؤلاء يصرفون العبادات لغير الله، أو يذهبون إلى غير الله، ويشركون في الألوهية بقصد الشفاعة، ماذا يقولون بقصد الشفاعة؟ يقول: أنا لا أطلب من الميت، أنا أطلب من الميت أن يطلب من الله، ترى هي هي، أنت تُصلي للميت، لاحظ! ليوصلك الميت إلى الله هذا قربى، هذا شفاعة القربى، هذا شرك بجهة القربة.

يقول: أنا لا أعبد الميت، ماذا تفعل؟ لا أعبد الولي، ماذا تفعل؟ قال: أنا أطلب من الولي والولي يطلب من الله.

طيب.. سؤال: هل الوليُّ حيٌّ يسمعك ويقدر على الدعاء وهو مكلفٌ يُمكن أن يُعينك؟ أو أنه خرج عن زمن التكليف فصار ميتًا، وانتقل إلى دار البرزخ، وهو مُنعمٌ لا يسمعك، وإن لم يكن وليًّا فهو مُعذَّب مشغولٌ عنك، فكيف تطلب؟ كيف تطلب منه أن يطلب من الله؟

الآن السؤال: هل يجوز لي أن أذهب إلى الجدار وأقول: يا جدار أطلب من الله فأنت ليس لك ذنب، وليس عليك ذنوب، ولا جرى عليك القلم، يا جدار اطلب من الله أن يغفر لي، يا جدار اطلب من الله أن يرزقني الولد، يجوز؟ لأني أنا مذنب والجدار ليس بمذنب، قال: يا أخي أيش؟ مجنون أنت! تطلب من الجدار، الجدار ما يقدر، الجدار ليس مكلف، طيب والميت ليس بمكلف، وين عقلك أنت؟ الميت إذا مات مُكلَّف؟ يعني لو صلى مثلًا هل يُقبل منه الصلاة؟ هل يُخاطب بالصوم والصلاة والزكاة وهو في قبره؟ لا، خلاص صار في عالم البرزخ، الميت إما مُنعم وإما مُعذب، أين هو عنك، مشغول بالنعيم أو مشغول بالجحيم، أين أنت منه؟

قال الله في آيات متعددة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢٢-٢٣]؛ النبي ﷺ لا يستطيع أن يُسمع من في القبر، ولذلك حتى الذين زعموا أن

والدي النبي ﷺ أسلما، ماذا قال مثل السيوطي مثلًا، ما قال: جاء عند القبر قال: يا أبتِ أسلم، قال: (أحياهما الله فأسلما). الحديث موضوع مكذوب ترى.

لأن كل إنسان عاقل يُدرك أن الميت لا يُمكن يسمع، ولو فرضنا أنه يسمع بعض الأشياء، من أين لك أنه يسمعك أنت؟ والله يقول في القرآن يقول: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١٤]؛ اللات مات لو تُسمعه لن يسمعك، لو تُبصره لن يُبصرك، ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ﴾ [سورة فاطر، من الآية:١٤]؛ إذًا بطلت شبهة أني أطلب من الميت الشفاعة، انتبه!

تطلب ممن يقدر لا بأس، تقول لأخوك المسلم: دعاء المسلم بظهر الغيب لأخيه المسلم مستجاب، ادع الله لي، ما في بأس، يقدر، في زمن التكليف يرفع إيديه يقول: يا رب اغفر لفلان، أما إنسان انتقل إلى عالم البرزخ، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، فهو مشغولٌ عنك، كيف تطلب منه؟!

ثم سؤال آخر مهم جدًا -انتبهوا لهذا!-: لو فتحنا هذا الباب قلنا: يمكن للميت أن يسمع -هذا على سبيل التنزل-، ويمكن للميت أن يطلب على سبيل التنزل، جميل، كم شخصًا سيقول في نفس اللحظة: يا عيسى! كم شخصًا بالله عليكم؟ أقل شيء كم شخص تتصورون؟ يعني على وجه الأرض الآن قُرابة اثنين مليار نصراني، كم شخصًا سيقول في نفس اللحظة: يا عيسى، كم تتوقعون؟ جاوبوا.

قل: مليون، قل: ألف إنسان، بالله عليكم كيف يمكن لرجلٍ من بني آدم مهما كانت قوته أن يستطيع أن يسمع الألف إنسان في آنٍ واحد؟ ويُفرِّق بين حاجة ألف إنسان ليطلب من الرحمن، كيف؟ الإنسان يفكر قليل.

الآن قبر النبي الكريم ﷺ الذي حفظه الله واستجاب الله دعاءه: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»، ما أحد يستطيع الوصول إليه، صحيح، بالله عليكم لو كان النبي ﷺ حي وهو في حجرة عائشة، وعليه جدار حجرة عائشة، ثم الجدار الثاني لعموم بيوتاته، ثم الجدار الثالث الذي بُني لأجل الفصل بين

بيته وبين المسجد، ثلاثة جدران، لو كان حيًّا وأنا أجي عند المكان اللي يمر عليه الناس للسلام، وأقول: (السلام عليك أيها النبي)، هل كان يسمعني؟ بل لو صرخت ما كان يسمعني، كيف الآن يسمعني؟ سؤال، جاوبوا يا اللي يقولون: يجوز طلب الدعاء من الموتى، شلون؟ كيف يسمعوني؟ صار عنده ما يمكن أن يسمع إلا بشيء واحد -عياذًا بالله- أن نعتقد أن جزء من الله صار فيه، ولا كيف يسمع؟ ثم لو فرضنا أنه يسمع، كيف يسمع لعشرات ومئات الناس في آنٍ واحد، وكل واحد له حاجة؟ وكيف يطلب من الله هذه الحاجات كلها، كيف؟

يا إخوان هذا شيء عجيب ترى، غريب، كيف يعتقده العقل؟ ولهذا انتبهوا! هذه الشبهة لا يتلبس عليكم.

لو كان أعظم الناس وهو محمد ﷺ لو كان حيًّا لو كلَّمه ثلاثة في آنٍ واحد لقال لأحدهم: اصبر حتى أقضي حاجة فلان ثم أسمع لحاجتك، فكيف الآن مئات الناس في نفس الوقت يقول: يا رسول الله اشفع لي، كيف يشفع لك الآن؟ حتى يوم القيامة ما هو الناس كلهم هجوم، ترتيب، أولًا يأتي الصلحاء والأنبياء إلى آدم، إلى نوح حتى يأتوا إلى النبي ﷺ، طيب.. والناس الباقيين! جالسين في أماكنهم واقفين، ما يمكن ليشفع لهم كلهم دفعة واحدة، ما يستطيع النبي ﷺ، فيدع يطلب من الله إقامة الحساب، ثم يذهب ويسجد ويطلب من الله فيحد له حدًّا لأُناسٍ معينين، ثم لأناسٍ معينين، والمسألة هكذا.

إذًا أيها الإخوة هؤلاء يقولون: لا، لا، نحن ما نعبدهم، نحن نطلب منهم الشفاعة أن يشفع لنا إلى الله، نطلب منه أن يطلب من الله، نقول له: يا شيخنا الكريم! يا سيدنا! يا ولينا! يا نبينا! أريد منك أن تطلب من الله لي الولد، بس.

طيب.. هو ميت، كيف؟ لا يسمع، لا، ما الدليل على أنهم كانوا يعتقدون الشفاعة في معبوداتهم، قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس، من الآية:١٨]. فسمى الله دعائهم واستغاثتهم بهم وطلبهم منهم سمَّاه عبادة، قال:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾. هذه مو عبادة، هذا أيش؟ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾.

ولذلك قال المصنف: (**وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ**)؛ ما هي الشفاعة المنفية؟ هي الشفاعة الشركية، (**مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ**).

إذًا ما هو تعريف الشفاعة المنفية؟ (**مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا اللهُ**)، يطلب شيئا من غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله، مَن الذي يقدر أن يجيب السائلين كلهم؟ وأن يميز بين دعواتهم كلهم؟ وأن يفهم لغاتهم كلهم؟ مَنْ؟ الله-سبحانه وتعالى -.

فإنزاله منزلة الله وإن سموه شفاعةً فهو شفيعهم، هذه الشفاعة المنفية.

وأيضًا يمكن أن نقول: أن من علامات الشفاعة المنفية اعتقاد المشركين أنها تكون ولو بغير إذن.

سمعت أحدهم يقول: إن لم أُدخل مريدي كلهم إلى الجنة فلست بوليٍّ، قلت: والله صدقت لست بوليٍّ، من يزعم هذا زعم لا يمكن أن يكون له وليًّا، وسمعت أحدهم يقول: يوم القيامة أقول لرب العالمين: إني أشفع في هؤلاء أجمعين، ولا أطلب منك الإذن يا رب العالمين، يعني كلام أعوذ بالله يا إخوان، والله ليس بعد الشرك ذنب.

قال: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**)؛ دليل على أن هناك شفاعة منفية، ما الدليل؟ (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٤])؛ هذه الآية تنفي أي نوعٍ من الشفاعة؟ تنفي الشفاعة الكفرية، تنفي الشفاعة الشركية، واضح! تنفي الشفاعة البدعية.

وليست هذه الآية نصًّا في عموم نفي الشفاعات كما زعمته المعتزلة، المعتزلة والخوارج أنكروا الشفاعة الشرعية، والإمام رحمه الله أثبت الشفاعة الشرعية.

فلا يأتين رجلٌ من غلاة المتصوفة ويزعم أن محمد بن عبد الوهاب يُنكر الشفاعة، هذا الإمام يثبت الشفاعة لكن يثبت الشفاعة الشرعية.

والشفاعة المثبتة -وهذا القسم الثاني- (**هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ**)؛ من اللي يطلب من الله؟ الشافع والمشفوع، كلاهما يطلبان من الله، شلون كلاهما يطلبان من الله؟ الشافع يقول: يا رب تجاوز عن عبدك فلان، والمشفوع يقول: يا رب اغفر لي واشفع واقبل دعاء فلان فيَّ، صار الاثنين يطلبون ممن؟ من الله، لذلك سُميت الشفاعة شفاعتان، شنو معنى الشفاعة عندنا في العامية؟ لما أنت تروح مكان تريد أن تطلب حاجة من المدير أو من الوكيل أو من الوزير، ما يعطونك شنو تسوي، تروح تجيب واسطة، صح؟ الواسطة شيء يقول: الواسطة يطلب منك ولا يقول: أعط فلان، يا أيها الوزير، يا أيها الوكيل، أنا ترى جاي أشفع لهذا وأنت تقول: ترى جاي لكم فلان، أقبل كلامه فيني، هذه هي الشفاعة، وإلا لو صار -انتبهوا الآن!- الشافع والمشفوع يطلبان من الله، لو واحد منهم ما طلب من الله؛ ما صارت شفاعة، لو أن الشافع ما طلب من الله قال: أنا أعطيك إياه؛ ما صارت شفاعة، ولو أن المشفوع قال: أنا ما أطلبها منك، أنا أطلبها منك أنت؛ ما صارت شفاعة ليش هو يروح عند فلان؟ هو يعطيني، فاهمين ولا لا؟

لأن التلبيس في هذه القضية كثير، ما هي الشفاعة الشرعية؟ الشافع والمشفوع يطلبان من الله.

كيف؟ يعني أنت تقول: اللهم شفِّع فيَّ نبيك محمدًا ﷺ، والنبي ﷺ يوم القيامة يقول: «**اللهم أمتي أمتي**»، أنت طلبت من الله وهو طلب من الله، ولا لا؟ صح ولا لا؟ هذه الشفاعة، يأتي الرجل الأعمى إلى النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله! ادعوا الله أن يرد عليَّ بصري، فيقول النبي ﷺ له إذا صحَّ الحديث في الترمذي، حديث الأعمى، حديث عثمان بن حنيف، فيقول له: «**أذهب فتوضأ واطلب واسأل الله وقل: اللهم شفِّع فيَّ عبدك محمد**»، ها طلب ممن؟ والنبي طلب ممن؟ يا إخوان السؤال واضح.

حديث في الصحيحين، جاء أعرابي وقال: يا محمد! ادع الله أن يغيثنا، طلب منه أن يطلب ممن؟ من الله، يقول أنس: فرفع النبي ﷺ يديه واستسقى، لما الرسول يستسقي هم يأمنون ولا ما يأمنون؟ إذًا هذا الرجل الجاي، دعا ولا ما دعا؟ طلب من الله ولا ما طلب؟ إذًا الشافع والمشفوع يطلبان من الله، هذا تعريف جميل، الشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، أي من جهة الشافع والمشفع.

قد يقول قائل: ما دام أن الله - سبحانه وتعالى - يُعطي الشافع؛ فما الداعي إلى الشفاعة؟ هذا سؤال الآن، إذا كان الله هو الكريم وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، ما الداعي إلى الشفاعة؟

الداعي إلى الشفاعة ذكره الإمام: أن الله يُريد أن يُكرم ويُظهر مكانة الشافع فقط، انتبهتم لهذا! يعني قد يقول قائل: أنتم تقولون: الشفاعة لا تكون إلا لمسلمٍ مرضي عند الله.

طيب.. ما دام مسلم ومرضي عند الله ليش الشفاعة؟ نقول: لأن الشفاعة لأجل ألَّا يتأخر دخوله الجنة، أو لأجل ألَّا يُعذب بشيءٍ في النار، والمقصود من أساسه هو سيدخل الجنة مهما كان، لماذا إذًا الشفاعة؟ لأجل إظهار مكانة الشافع، كيف يعلم الناس مكانة النبي ﷺ إلا لأن الله يؤخر القيام يؤخر الحساب، فلما يؤخر الحساب ماذا يفعل الناس؟ يبحثون عمَّن، هم يطلبون من الله، الله لا يقيم الحساب، فيبحثون عمَّن يطلب من الله معهم، فيطلب رسول الله من الله لهم فيقبل الله دعائه، انتبهتم لهذا ولا لا؟ مسائل مهمة ترى.

إذًا (**وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ**)؛ هذا مقصود الشفاعة، هذا مقصد عظيم من مقاصد الشفاعة: أن الشافع مكرمٌ بالشفاعة، والمشفوع له مَن سيكون؟ هل كل أحد يمكن لأي أحد أن يشفع؟ الجواب: لا.

أولًا: بالنسبة للشافع لا بد أن يكون من أهل الشهادة، ومَن هم أهل الشهادة؟ الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والصالحون؛ هؤلاء هم أهل الشهادة، الذين جعلهم الله شهداء، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٤٣]، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن اللاعانين لا يكونون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة**»، ها! احذر لعن الناس، احذر، لا تلعن شيء، «**إن اللاعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»، إذًا ما شرط أن ينال الإنسان أن يكون شافعًا ما شرطه؟ إما أن يكون نبيًا، أو صديقًا، أو شهيدًا، أو صالحًا، غير هذا ما يمكن تنال الشفاعة.

طيب.. ما شروط المشفوع فيه أو المشفوع له، ما شرط المشفوع له؟ لا بد أن يكون مرضيًا عند الله، بمعنى: لا بد أن يكون مسلمًا، فإن لم يكن مسلمًا فلا يمكن الشفاعة له بالخروج من النار

البتة، حتى أبو طالب شفع النبي ﷺ في تخفيف العذاب له ولم يشفع له في خروجه من النار، ولا بد للشافع والمشفوع من الإذن من الله، ولذلك قال الله جمع بين هذه الأمور كلها فقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢٥٥]، في البقرة، وفي آية النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:٢٦]؛ لاحظ! إذن ورضاه.

هنا يأتي سؤال: قد يقول قائل: هل كان المشركون كلهم عندهم شرك في توحيد الألوهية؟

الجواب: نعم، وهذا يتبين بالقاعدة الثالثة.

قال -رحمه الله تعالى-:

الْقَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦٓنَ أَرْبَابًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة، من الآية:١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ". الحَدِيثَ.

الشرح:

هذه القاعدة -القاعدة الثالثة- لتقرير مسألة مهمة وهي: أن الكفر كفرٌ وأن الشرك شركٌ مهما تنوَّع واختلف، فلا يمكن أن نقتصر الكفر على نوعٍ واحد وعلى شركٍ واحد، وهذه مسألة مهمة؛ لأن بعض الناس عنده أن الشرك إنكار نبوة النبي ﷺ فقط، أن الكفر إنكار رسالة الإسلام، هذا ليس بصحيح، الكفر أنواعٌ، والشرك أنواع.

ولهذا النبي الكريم ﷺ ظهر على أُناسٍ كانوا متفرقين في عباداتهم، أي: متنوعين، في أنواعهم وشركياتهم، وليس شركهم كلهم؛ لأن بعض الناس ماذا يقول اليوم؟ يقول: هم يعبدون أشجار وأحجار، أنا ما أعبد الحجر والأشجار، أنا أتقرب إلى الله بالولي، أنا أتقرب إلى الله بالنبي، أنا أتقرب إلى الله بالإيمان، أنا أتقرب إلى الله بالسيد، كيف تُساويني بهم؟

نقول: الشرك شركٌ سواء تقرب الإنسان إلى الله بعبدٍ، أو بإنسانٍ، أو بحجرٍ، أو بشجرٍ، أو بحيٍّ، أو بميت؛ الشرك شرك لا يتغير والكفر كفرٌ لا يتغير، الكفر أنواع.

ولذلك قال المصنف: (**مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ**)؛ هذا نوع، فهل نقول: هؤلاء ليسوا بمشركين؟ (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ**)؛ هل نقول: هؤلاء ليسوا بمشركين؛ لأنهم عبدوا الأنبياء والصالحين؟ (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ**)؛ موجود هذا أيضًا. (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**)؛ الكواكب العلوية.

(وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ)؛ ما قال: والله أنتِ يا قريش تعبدين اللات وهذا رجل صالح، ما قال: يا أهل الطائف أنتم تعبدون العزى هذه شجرة أنتم مشركون، ما قال للانصار لأهل المدينة قبل أن يُسلموا: والله أنتم تعبدون المناة وهو جبلٌ، أنتم كذا وكذا، ما فرَّق.

فكل من صرف العبادة لغير الله عاملهم النبي ﷺ معاملةً واحدة؛ لأن القضية ليس إلى مَن صرف العبادة، القضية صرف العبادة، انتبه لهذه المسألة! ليست القضية إلى مَن صرفت العبادة، القضية صرفك العبادة لغير الله شرك بغض النظر إلى مَن صرفت، ما لها علاقة، صرفته لجبريل، صرفته للنبي، صرفته لحجر، صرفته لنملة، هو شركٌ.

ما الدليل على هذا؟ الله ذكر الدليل على هذه المعبودات المختلفة، قال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٣٧]. دل على أن هناك أناسًا يسجدون للشمس والقمر، وقد تقرر معنا أن سجودهم للشمس والقمر لا يعني أنها الخالقة وأنها الرازقة، إذًا لماذا يسجدون للشمس والقمر؟ لظنهم القربى والزلفى والشفاعة.

(وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٨٠])، ودليل الأنبياء ما ذكره الله عن عيسى، وأنه قال للنصارى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:٥٩]، وأنه قال لعيسى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة، من الآية:١١٧]؛ لكن هم اتخذوا عيسى إلهًا مع الله، معبودًا مع الله، مع الله، معية الله، يعني ما عبدوا عيسى فقط وتركوا الله، لا، لو عبدوا عيسى وتركوا الله كانوا كفارًا على اصطلاح من يُفرق، لكنهم يعبدون عيسى ويعبدون الله مُشركون.

والصحيح أنه لا فرق بين الكفر والشرك، في اصطلاح الشارع، فكل شركٍ كفر وكل كفر شركٌ، هذا هو الصواب، ولكن نُراعي من حيث المعنى الظاهري الفرق بين الشرك والكفر، الشرك أكثر ما يُطلق في صرف العبادة لغير الله، والكفر أكثر ما يُطلق في الجحد والإنكار.

وكل مشركٍ جاحد منكر، وكل منكرٍ مشرك لا ريب ولا شك.

ما الدليل أنهم يعبدون الصالحين؟ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٧]. ليش تعبدون غير الله؟ قالوا: نريد القربى، ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٥٧]. أنتم تتوجهون إلى صالحين هم يرجون رحمة الله، هم يخافون عذاب الله، إذًا عبدوا الصالحين؛ لأن من علامات الصالحين أنه لا يرجو إلا من الله، ولا يخاف إلا من الله.

ودليل الأشجار والأحجار: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [سورة النجم، من الآية:١٩-٢٠]. طبعًا لات صنم لرجلٍ صالح، خلو هذا، والعزى شجرة كانت تُعبد في الطائف، ومناة كان صنمٌ يعبده أهل المدينة قبل الإسلام.

ثم ذكر حديث أبي واقد الذي أخرجه الترمذي وقال: حديثٌ صحيح، وفيه أنهم طلبوا البركة من الله بواسطة سدرة، أنه يا رب أنزل بركة على السدرة ونحن نعلق أسلحتنا على السدرة، فتصير أسلحتنا مباركة، لاحظوا! أن البركة طلبوها من الله بواسطة، طلب البركة بأيش؟ ما طلبوها من الله مباشرة، قالوا: (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**)؛ (كما) هم كيف كما؟ هم يقولون: أن هذه الشجرة تُباركنا؛ لأنها عند الله مباركة، فهم قالوا: اجعل لنا شجرة تبركنا وتبارك أسلحتنا؛ لأن الله جعلها مباركة، فماذا قال النبي ﷺ، قال: «**الله أكبر إنها السنن**»، لاحظوا! قال: وفي رواية قال: «**سبحان الله! قلتم كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة**»، شلون؟ هم ما قالوا أجعل لنا إله، قالوا: اجعل لنا سدرة؛ لأن طلب البركة بواسطة كمن صرف العبادة لله بواسطة، أيش الفرق؟

فإن قال قائل: فإن بعض العلماء قال: هذا من الشرك الأصغر، نقول: من الشرك الأصغر لكن - لاحظوا الآن!- أنهم قالوا: (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**)؛ هم طلبوا البركة بواسطة، طلبوا البركة بواسطة لاحظوا الآن هذا ليس شرك أصغر، إذًا ما الذي هو شرك أصغر؟ اعتقاد أن الشجرة مباركة بأمر الله هذا هو الشرك الأصغر، فرق بين الأمرين، بين الطلب وبين الاعتقاد.

النبي ﷺ لما قال: «**قلتم كما قالت بنو إسرائيل**»، هو شبَّه القول ولا شبه الاعتقاد؟ شبه القول، إذًا لاحظوا! قول: (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**)؛ هم اجعل لنا إله نتقرب به إلى الله، إذًا القول كقولهم، القول كفعل، القول كقولهم، لكن الاعتقاد يختلف طبعًا، ولذلك بعض أهل العلم يقولها: إذا تقرر هذا نقول: الكفر بجميع أنواعه والشرك بجميع أنواعه شرك ما في عندنا فرق.

هذه القاعدة الرابعة مهمة؛ لأن بعض الناس يقول: المشركون اليوم غير المشركين في ذاك الزمان، نقول: صدقت، لكن ليس أخف بل أعظم وأطم.

قال -رحمه الله تعالى-:

الْقَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانَنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ، لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانَنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٦٥].

الشرح:

بعض الناس يقول: مشركي هذا الزمان مو مثل مشركي الأوائل، هذولاك المشركين قاتلهم رسول الله ﷺ، فنسألهم سؤال: هل تبرج ذاك الزمان كتبرج هذا الزمان؟ هل خمر ذاك الزمان مثل خمر ذاك الزمان؟ يا إخوان، الفساد والشر من الشرك إلى أقل شيء يتطور يصير أشد، يصير أعظم يصير أطم، والله الذي لا إله إلا هو، النصارى قبل مائة سنة ما كانوا يعرفون التبرج، اليهود قبل مائة سنة ما كانوا يعرفوا التبرج، شوف التبرج الآن عندهم وعند المسلمين، فالشرك يتطور إلى ما هو أعظم.

سأضرب لكم مثال وأكتفي به -إن شاء الله-: ما كان أحد من العرب يعتقد بالحلول والاتحاد، وُجد في المسلمين مو من يرى الحلول والاتحاد، لا، جاوزوا الحلول والاتحاد.

الحلول أن يعتقد أن الله حل في عيسى، هذا يسمى حلول، الله حل في الجيلاني؛ هذا حلول، الله حل في البدوي هذا حلول، الله هو علي علي هو الله؛ هذا حلول، أو اللاهوت حل في الناسوت هذا هو الاتحاد، أو جزء من الله جاء في البشر هذا اتحاد، لا، في من المسلمين من يُنعت بأنه الشيخُ الأكبر

والكبريت الأحمر مثل مولاهم جلال الدين الرومي وغيره، ماذا يقول؟ يقول: كل شيء هو الله، وين وصل الكفر ما تتخيل ترى! والله هذا الكلام لو قلته لأسفه المشركين في زمن النبي ﷺ لضربه ضربًا قال: والله كل شيء خليني أضربك وأشوف أيش تقول أنت! الشرك تطور.

لذلك مشركو هذا الزمان لا بد أن نعتقد هذا الاعتقاد واقعي مشاهد، إذا عرفنا مشركي هذا الزمان وقارنا بين مشركي زماننا، تيقنا أن هناك بونًا شاسعًا بين شركهم وشرك هؤلاء، وإن كان الشرك شركًا.

ولنذكر ثلاثة جهات، المصنف ذكر جهةً واحدة، وذكر في [**كشف الشبهات**] جهتين، وهنا نذكر الآن ثلاثة جهات:

الأول: ما ذكره المصنف رحمه الله: أن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، هذا بونٌ شاسع ولا لا؟ ليش؟ ليش يُخلصون في الشدة؟ معناته أن اعتقادهم في الشرك ضعيف، يعلم أن معبوده يعلم أن شفيعه ها! ما يقدر، يمكن مشغول، يمكن ينساه، لكن أرحم الراحمين ما ينساه.

أما مشركو هذا الزمن في حال الشدة لا يتذكر إلا معبوده، لا يتذكر رب العالمين، والله هذا أمر عجب أيها الإخوة!

يقول شيخ مشايخنا يقول: إنه كان في مركبٍ، وكان جاي للحج من المغرب، فجاءت الأمواج واضطربت السفينة، فخرج الشيخ كما خرج الناس إلى أهل السفينة؛ ليدعو الله ﷻ حتى ينجيهم ويذهبوا إلى جدة بسلام.

يقول: فلما صعدت وجدت كل واحد منهم يطلب معبودًا، هذا يقول: يا عيدروس، وهذا يقول: يا فلان، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا فلان، يقول: ذُهلت، فتذكرت هذه الآية: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٦٥]؛ وأنتم الآن تدعون المعبودات، فقلت: يا رب إن كنت لا تغرقهم فأغرقهم، يقول: تكسرت السفينة، ما أفقت إلا وأنا في بيت أحد أهل مصر، فقالوا لي: ما نجا من أهل السفينة إلا أنت، نعم، هذا موجود أيها الإخوة، لا بد أن نعتقد أن التوحيد هو الذي ينجي. ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

﴿لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:٦٣]؛ هذا حال المشركين في ذاك الزمان، حال المشركين اليوم! تدرون شي يقول كما ذكر الشعراني في [**الطبقات الصوفية**]، قال أحد المشايخ لمريديه: نتجاوز النهر والبحر بدون مركب بس ها! لا تطلب من الله اطلب مني، شوف الشرك! أعظم من شرك ذاك الزمان، هذا الوجه الأول.

الوجه الثاني: أن الشرك المشركين اليوم أكثره شرك حلول واتحاد، شرك وحدة الوجود -نسأل الله السلامة والعافية-، وشرك ذاك الزمان كان شرك شفاعة وقربى وهذا أخف، وإن كان لكل شركه.

الوجه الثالث وقد ذكره المصنف رحمه الله نفسه: أن اليوم الناس يعبدون مع الله معبودات هم يحكون عنهم أنهم كانوا من أفجر الخلق، ثم يتخذونها معبودات مع الله.

هم يقولون: البدوي ما كان يصلي، البدوي كان يخرج أمام الناس عاريًا، هم يقولون، ثم يعبدونه.

ذهبت إلى السودان فقال لي شخص -ومرينا على مكان- قال: هذا قبر الولي الفلاني، قال: تدري! من عجائب هذا الرجل أنه ما اغتسل ولا توضأ أربعين سنة، هم يشهدون عليه، يقولون: ما اغتسل ولا توضأ أربعين سنة، طيب.. شلون ولي؟ شلون ماني فاهم، من هنا تُدركون أن هذا الشرك أغلظ وأشد.

نسأل الله أن يثبتنا على التوحيد، وأن يميتنا على التوحيد، وأن يحشرنا على التوحيد، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

الذي نجا من السفينة شيخ مشايخنا الشيخ/ تقي الدين الهلالي، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، كان يُتقن أكثر من ثمان لغات.